

مؤتمر الدوحة الخامس لحوار الأديان

٢٢.٢٠ ربيع آخر ١٤٢٨ هـ

٩.٧ مايو ٢٠٠٧ م

صورة الإسلام في الغرب :

التعامل مع الآخر ...

آثار العولمة ...

ودور الإعلام الدولي

إعداد:

د. علي السمان

رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية

بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

مُقَدِّمَةٌ

الأديان السماوية كلها مصدرها واحد وهو الله ﷻ خالق الكون ومرسل الأنبياء والرسل جميعا عليهم السلام ومنزل الكتب السماوية ، وقد أمرنا الله ﷻ في جميع كتبه ألا نعبد إلا إياه مع إختلاف عقائدنا الإيمانية .

الدين الإسلامي حث على إحترام الآخر والإيمان بكتبه ورسله وألا نفرق بين أحد من رسله ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ سورة النساء آية ١٣٦ .

ومن عظمة الإسلام حرصه على الدعوة إلى التعايش والتحاور مع الآخر والعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة ونشر السلام في الأرض ودعوة أتباع الديانات السماوية إلى التلاقي والتعاون على نشر هذه الفضائل بين الناس جميعا كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

أولاً: علاقة الإسلام بالآخر منذ نشأة الدولة الإسلامية

=====

قبل أن نكتشف في العصر الحديث أن هناك مشاكل تعوق حوار الإسلام والغرب كان الإسلام منذ نشأة الدولة الإسلامية قد وضع أسس ومرجعيات لا للتعامل مع الشرق والغرب فحسب ولكن للتعامل باختصار مع الآخر .

منذ بداية الدولة الإسلامية حرص الدين الإسلامي على المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وأهل الذمة . ولعل في رسولنا الكريم ﷺ خير قدوة حسنة حينما قال قوله ﷺ ((لهم ما لنا وعليهم ما علينا)) وكان لهذه المقولة وقع السحر في نفوس أهل الذمة والأنصار وساعدت على الأخاه بينهم وبين المهاجرين .

وحرص الرسول ﷺ على تنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود وبقية سكان المدينة ، حينما وقع الوثيقة التي تعرف باسم : ((صحيفة المدينة)) والتي تعتبر أول نظام يحدد العلاقة بين مواطني الدولة الواحدة ، وتشير بوضوح إلى الحقوق والواجبات التي لمواطني الدولة ... وقد تمتع أهل الكتاب بحريتهم الدينية ، وضمان مصالحهم العامة تمتعا رائعا في ظل الدولة الإسلامية ، ونلاحظ ذلك في المعاهدة التي أمضاها الفاروق عمر بن الخطاب مع أسقف بيت المقدس – وهي تمثل مرحلة أخرى من مراحل علاقة الإسلام بأهل الكتاب – وهي نظير جميع المعاهدات التي أمضاها الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد التي تم فتحها ، وفيها النص على حقوق أهل الكتاب دون نقص ، ومن بعض سطورها :

((هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبرئيتها وسائر ملتها ، أنه لا تُسكن كنائسهم لغيرهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص ، ومن خرج منهم فإنه آمن على ماله ونفسه حتى يبلغ مأمنه ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم سار ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، ولا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم)) .

ولأسف لم تنجح كثير من المؤسسات التي تعمل في مجال التقارب الثقافي والحوار في نقل رسالة التعايش والحوار الى القاعدة العريضة من الشعوب وظلت موضع اهتمام النخبة فقط .

ومن هنا أدعو بأن نعمل جميعا على توسيع قاعدة الحوار لننتقل به من النخبة إلى الشعوب . لأننا نجد أن النخبة فقط هي التي تعرف الحوار وتحدث عنه بينما نجد أن هناك مشاكل طاحنة وفتن طائفية وعرقية بين الشعوب ولا أحد يحاول حلها وكل هذا

يعطي الفرصة للمعرضين ضعاف النفوس أن يحاولوا التفرقة بين الأديان والأجناس والعمل على تفرقة الصف الواحد لأغراض سياسية لا علاقة لها بالأديان الإسلامي أو الدين المسيحي مما يخالف قول الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ سورة البقرة آية ٦٢ .

فإنه ﷺ إذا لم يفرق بين عباده من المسلمين والمسيحيين واليهود فكلهم سواء عند الله ، وهناك نهج حدده الله تعالى للمسلمين يسرون عليه في تعاملهم مع أهل العقائد والديانات الأخرى ألا وهو قوله الكريم : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الغي من الرشد ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦ .

كما أن هناك مبدأ إسلامي آخر وضعه الله تعالى في دستورنا وهو كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأننا مسلمون ﴾ سورة آل عمران آية ٦٤ .
وبذلك نجد أن الإسلام حرص على معاملة أهل الكتاب معاملة حسنة ووضع ذلك في الدستور الإسلامي وهو القرآن .

ويؤكد الرسول ﷺ هذه المساواة المطلقة بين الناس جميعا من كل لون وجنس ونوع في الحديث شريف : ((الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)) .

اتحمل مسئولية أن استخلص من هذه المقدمة المبادئ الآتية

- لا إحتكار للإيمان بالله ...
- لا احتكار لكلمات الله
- لا احتكار لتفسير كلمات الله ...
- لا إحتكار لتحديد مكانة العباد عند الله ...

ثانيا : المخاطر التي تهدد الحوار بين الإسلام والغرب

=====

• خطر التعميم في الأحكام

واقصد هنا بالتحديد أنه حينما يُخطأ جزء من التابعين الى دين أو جماعة – قومية كانت أو عرقية – ، و يكون رد الفعل هو الهجوم على جماعة بأكملها يقول الله ﷻ : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ ٠٠ سورة فاطر آية ١٨. وأهم مثل لذلك أنه حينما تُخطأ جماعة طالبان أو بن لادن باختيار العنف والتطرف سبيلا لتحقيق أهدافها فإنه من غير المقبول ولا العدل أن يُعمم الحكم على المسلمين جميعا.

ومن ناحية اخرى حينما نفترض ان بابا الفاتيكان رئيس الكنيسة الكاثوليكية قد أخطأ في اختيار التعبيرات والافكار للتكلم عن صلب العقيدة الإسلامية ومكانة الرسول عليه السلام، فرغم خطورة الموقف لن يكون ذلك سببا لنعبر عن ادانتنا للمسيحيين جميعا، فهناك المسيحيون الشرقيون الذين يرفضون هذا المنطق بل أن بعض الاصوات الكاثوليكية قد عبرت عن تحفظها. وحتى اذا ذهبنا الى عمق التاريخ فنجد القديس فرانسوا دي اسيزي الذي انشأ حركة الفرنسيسكان الكاثوليكية يتفرد بالاعتراض على الحروب الصليبية، بل اننا رغم ماوقع من بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، لن ننسى الدور الإنساني والخلق لبابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثاني الذي نجح في أن يجمع ممثلي الاديان جميعها في مدينة أسيزي حوله وأن يكون الهدف المشترك هو السلام والتعايش والمحبة.

بل انني اتحمل المسؤولية كاملة بأن أقول انه حينما يقوم الجيش الاسرائيلي بعدوان ظالم ومرفوض فكريا ومعنويا واخلاقيا ودينيا، على لبنان وفلسطين فلن يجعلنا ذلك ننسى بعض المفكرين اليهود والإسرائيليين الذين يرفضون لغة العدوان والبطش، وحينئذ لن ندين اليهود جميعا.

اذن التعميم في الاحكام هو من اكبر المخاطر التي تهدد – كما قلت – التعايش والتواصل بين البشر. ونجد ذلك تصديقا لقول الله تعالى: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ سورة المدثر آية ٣٨.

• بعض المرجعيات الدينية لموقف الإسلام من رفض التعويم في الأحكام:

- حرص الإسلام على تأكيد عدل الله في أن كل نفس مسئولة عن أعمالها فقط
فكرر في القرآن الكريم الآيات التي تثبت ذلك ، يقول الله تعالى :
﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾
سورة البقرة آية ٢٨٦ ، أي : أن الله ﷻ كلف الإنسان بما تسع قدرته
وتستطيعه نفسه ، وأن كل نفس لها ثواب ما كسبت من حسنات بسبب أعمالها
الصالحة ، وعليها عقاب ما اكتسبت من سيئات بسبب أعمالها السيئة .

ثالثاً: العولمة في الإسلام وأهمية الإعلام الدولي

من المفاهيم الخاطئة للعولمة لدى كثير من العامة إنها تعني السعي إلى ذوبان العادات والتقاليد بل والديانات أيضاً ، بينما العولمة التي يدعو إليها الإسلام هي إتاحة الفرص والإمكانيات الثقافية والمادية والإقتصادية والعلمية والاجتماعية لجميع الدول والشعوب لطرح أفكارها وثقافتها وحضارتها أمام العالم كله .

وأقولها بصراحة أنني أفضل تعبير العالمية عن العولمة لأن العولمة أصبحت في العصر الحديث موضوع صراع ومواجهات بين خصومها وأنصارها وفسر البعض العولمة على أنها سيطرة الجانب الأقوى على الجانب الأضعف في الصراعات الدولية في حين إننا حينما نتكلم عن العالمية فلا خلاف أن رسالة الأديان السماوية الثلاثة تتوجه إلى العالم إجمع وتقدم قيمها .

ولا شك أن الإسلام بإبفتاحه على الأخر والسلام مع الأخر ومبادئ العدل والتصدي للظلم ونشر الوعي والفكر والإستتارة إلى العالمين مهياً بشكل خاص لأن يلعب دوراً كبيراً أمام العالمية .

ولكن بقي أن نقول أن كل ما تعرضنا إليه في هذه الدراسة من أفكار ومبادئ ومثل يهددها ويحرف من رسالتها موقف الإعلام الإقليمي والدولي منها ، فالإعلام الدولي أحياناً يفضل أسلوب الإثارة وجذب القارئ أو المشاهد بأي ثمن وهنا يغامر بالتعميم في الأحكام على جماعة بأكملها حينما يخطئ السبيل قلة أو جزء منها .

وقد تعرضت في أكثر من مؤتمر لفكرة الأهمية القصوى في المرحلة التي نجتازها من عقد مائدة مستديرة تجمع بعض من العقلاء من الإعلام الغربي ونظرائهم منم العالم الإسلامي لبحث الموضوع الذي طرح بقوة على الساحة الدولية في العامين الماضيين وهو ((أهمية إقامة توازن بين حرية التعبير والنشر وبين روح المسؤولية التي تعني إحترام حقوق الأخر حينما يكون ضحية لممارسة مطلقة لحرية التعبير في الرأي)) .

و حينما أقول مائدة مستديرة بين المتخصصين فإن ذلك يعني بأنني أفضل هذه الوسيلة عن المؤتمرات العامة التي يغلب عليها الأسلوب الخطابي للدفاع عن وجهة نظر كل من المشاركين فحين أن المائدة المستديرة بين متخصصين تذهب بمنهجية إلى أسلوب البحث عن حلول لهذه المشكلة المطروحة على الساحة العالمية والتي دفعت صورة الإسلام بسببها ثمناً غالباً حينما حرفت الكلمات وتم الخطأ في التفسير .

وفي ختام الكلمة أقول : " أدعو الله إن لا أكون مخطأً وأنا أقول لا يوجد صراعات دينية ولكن صراعات لقوى سياسية تأخذ الأديان رهينة بين أيديها لممارسة السيطرة والهدم

مَشَتْ